الفصل الثالث

واو المعية

أولا : واو المفعول معه .

ثانيا : واو الجمع .

obeikandl.com

obeikandl.com

واو المعية

فرق النحاة بين واو المفعول معه في نحو : سرت والنيل . وبين الواو الداخلة على المضارع المنصوب في مثل : لا تأكل السمك وتشربَ اللبن . وذلك باختلاف التركيبين ؛ لأن ما بعد الواو في التركيب الأول مفعول معه منصوب ، وما بعد الواو في التركيب الثاني فعل مضارع منصوب.

ولما كان معنى المعية في التركيب الأول مثل معنى المعية في التركيب الثاني رأى بعض المحدَثين أن نصب المضارع بعد الواو على المعية من نوع نصب المفعول معه بعد الواو ذاتها[1].

ولكن ـ كما سبق في واو المشاركة ـ لا يتحدد معنى الواو بدقة إلا من خلال تأمل التركيب ، وكل ما به من قرائن ؛ لذا فإن هذا الجزء من الدراسة يناقش المعية من خلال قسمين :

القسم الأول : واو المفعول معه.

والقسم الثاني : واو الجمع الداخلة على المضارع المنصوب.

* * *

(1) اللغة العربية معناها ومبناها د . تمام حسان 196.

obeikandl.com

أولا : واو المفعول معه

أ ـ مكانها في كتب معاني الحروف :

إن أهم ما يلحظ في تناول كتب معاني الحروف لمعاني الواو هو ذكرها لواو المفعول معه باختصار شديد ، فالخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه **الجمل** (المنسوب إليه) ذكر جمل الحروف ، وفي ذكره لمعاني الواو تحدث عن ثلاثة عشر معنى لها ، ولم يذكر واو المفعول معه في جمل الواوات[1].

وإن ذكر قول الشاعر :

فَكُونُوا أَنْتُمُ وَبَنِي أَبِيكُمْ مَكَانَ الْكُلْيَتَيْنِ مِنَ الطِّحَالِ[2]

عند حديثه عن أنواع النصب على أن (بني أبيكم) منصوب بنزع الخافض[3].

ولم ترد هذه الواو (واو المفعول معه) في كتاب **الحروف** للنضر بن شميل ، فقد ذكر أربعة عشر وجها للواو[4] ولم يذكرها.

ولم يذكر عنها أبو الحسن المزني إلا قوله : « كل الثوب وثمنه »[5].

وكل ما قاله الزجاجي عنها في كتابه **معاني الحروف** : وتكون بمعنى مع

---

(1) الجمل للخليل 284.

(2) البيت غير منسوب في معجم شواهد العربية 1/ 3216، وانظر الجمل للخليل 284، الكتاب 1/ 258، همع الهوامع 1/ 220، 221، شرح الأشموني تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد 6/2 38 ط 3. الشعب ـ القاهرة ـ د . ت ، حاشية الصبان 138/2.

(3) الجمل للخليل 95.

(4) المصنفات في حروف المعاني بها نص كلام النضر بن شميل عن حرف الواو من ص 19: 23.

(5) نفسه 83.

كقولك : جاء البرد والطيالسة[1].

والسيرافي في المناظرة المشهورة التي كانت بينه وبين متّى بن يونس حول معاني حرف الواو لم يذكر فيما ذكره من معانيها إلا قوله : « وأن تكون بمعنى حرف الجر ، كقولك : استوى الماء والخشبة . أي : مع الخشبة »[2]. واستمر هذا المثال ، أو أمثلة مشابهة له في باقي كتب معاني الحروف التي قل فيها ذكر هذا المعنى للواو[3].

ولكن سيبويه تحدث عنها في كتابه حيث قال : « هذا باب ما يظهر فيه الفعل ويتنصب فيه الاسم ؛ لأنه مفعول معه ومفعول به ، وذلك قولك : ما صنعت وأباك ، ولو تركت الناقة وفصيلها لرضعها إنما أردت : ما صنعت مع أبيك ، ولو تركت الناقة مع فصيلها ، فالضمير مفعول معه والأب كذلك »[4].

وتحدث عنها عندما يكون ما بعدها مرفوعا[5].

ب ـ الفرق بين المعية في المفعول معه والمعية في واو الجمع :

سبق أن قلنا : إنه في قولنا : اختصم زيد وعمرو . يفهم منه الاشتباك والاقتران بين الفاعلين ، فالفعل (اختصم) قام به زيد وعمرو معا ، ولكن هذه المعية وهذا الاشتباك مفهوم من الفعل اختصم ، وليس من واو الجمع التي جعلت

(1) حروف المعاني : أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق الزجاجي تحقيق د . علي توفيق الحمد ص 37 ط 3 بيروت 1986م.

(2) الإمتاع والمؤانسة 118/1.

(3) انظر : معاني الحروف للرماني 60، حروف المعاني للزجاجي 37، مغني اللبيب 2/ 260، همع الهوامع 2/ 129، الجني الداني للمرادي 156، حروف المعاني عبد الحي حسن ص 73 وما بعدها.

(4) الكتاب لسيبويه 297/1.

(5) نفسه 299/1.

الاسمين كالاسم الواحد المثني ؛ ولأن الفعل اختصم من أفعال المشاركة ، أي : التي تحتاج دائما إلى فاعلين ، أما في المفعول معه في مثل : سرت والنيلَ . فإن المعية هنا لم تأتِ من الفعل (سرت) ، وإنما للواو دور في ذلك المعنى ؛ يقول السيوطي : « المصاحبة في واو العطف مفهومة من العامل السابق لا من الوو ، وفي واو المفعول معه لا تفهم إلا من الواو »[1].

والفرق الثاني بين المعية في التركيبين أنها في (اختصم زيد وعمرو) مفهومة إلى جانب معنى الجمع والمشاركة بين المتعاطفين ، ولكن المعية التي تعني المصاحبة في واو المفعول معه في مثل : سرت والنيل . لا تعني المشاركة بين النيل وما قبلها ، وإنما تعني فقط المصاحبة مصاحبة ما بعدها للفعل الذي قبلها ـ لذلك جعل العلماء أصل مصطلح المفعول معه هو المفعول ، ولكنه يذكر هكذا اختصارا[2].

وعرّفوه بأنه « المذكور بعد الواو لمصاحبة معمول فعل لفظا أو معنى »[3].

جـ ـ بين واو المفعول معه وواو المشاركة :

رأى بعض العلماء أن « أصل الواو التي للمفعول معه هو العطف ، وإنما يعدل عن العطف إلى النصب نصًّا على المعنى المراد من المصاحبة ؛ لأن العطف في : جاءني زيد وعمرو . يحتمل تصاحب الرجلين في المجيء ، ويحتمل حصول مجيء أحدهما قبل الآخر ، والنصب نص في المصاحبة ، وفي قولك : ضربت زيدا وعمرا ـ لا يمكن التنصيص بالنصب على المصاحبة ؛ لكون النصب في

(1) همع الهوامع 219/1.

(2) انظر شرح التصريح على التوضيح ، للشيخ خالد الأزهري 353/1 مطبعة محمد أفندي مصطفى القاهرة 1312هـ المصطلح النحوي نشأته وتطوره عوض محمد القوزي 184 ط الرياض 81.

(3) شرح كتاب الكافية في النحو رضى الدين 194/1.

العطف الذي هو الأصل أظهر »[1].

إذن النصب وحده لا يكفي وخاصة في مثل التركيب السابق، فهو لا يكفي قرينة على إفادة الواو معنى المصاحبة، ولكن لا بد من فهم المعنى، ويمكن لنا أن نقول: إنه في مثل التركيب السابق يراعي مقتضي الحال (المقام) فإذا تضافرت القرائن على أن ما بعد الواو مع ما قبلها، فإنه في هذه الحالة لا يسمى مفعولا معه، وإنما يجمع بينه وبين ما قبله بواو الجمع، أو يشرك بينه وبين ما قبله بواو المشاركة.

وفي قولك: أشركت زيدا وعمرا، وخلطت البر والشعير، ما بعد الواو مفعول به لا مفعول معه؛ لأن المعية في مثله ـ كما قلنا ـ مستفادة مما قبل الواو لا منها، فهي لمجرد العطف[2].

وقد كان من أهم أسباب تردد العلماء بين معاني الجمع والمشاركة ومعاني المفعول معه ـ هو نظرتهم للعطف؛ فمن نظر إليه بمعناه العام عد أساليب المعية ضمن أنواع العطف، ومن خصص العطف بالجمع والمشاركة جعل واو المفعول معه قسما قائما برأسه.

وعبد القاهر الجرجاني يشبه واو المفعول معه بواو المشاركة في أصل وضعها يقول: «ألا ترى أن قولك: استوى الماء والخشبةُ، واستوى الماء والخشبةَ بمعنى واحد، وكيف لا يكون كذلك، و(استوى) يقتضي فاعلين، فلو لم يكن في الكلام معنى العطف لم يجز البتة. وإذا قلت: جاء البرد والطيالسةُ. فهو كقولك: جاء البرد والطيالسةَ. إذ لو قلت: وجاءت الطيالسة كان صحيحا، غير أن في العدول عن لفظ العطف فائدة أخرى وهي الدلالة على الاقتران، فإذا

(1) نفسه 194/1.

(2) حاشية الصبان على الأشموني 134/2 ط الحلبي ـ القاهرة (د. ت).

قلت : جاء البرد والطيالسةَ علم أنك تقول : اقترنا وتصاحبا . ولو قلت : جاء البرد والطيالسةُ بالرفع على العطف لم يكن في نفس اللفظ دلالة على الاقتران والتصاحب »[1].

في التركيب الأول : (استوى الماء والخشبةُ) بالرفع تصبح (الخشبة) فاعلا في المعنى ؛ لأن الفعل استوى يقتضي فاعلين ، أما في التركيب الثاني (استوى الماء والخشبةَ) فإن (الخشبة) مفعول معه فعل الاستواء . وقد يكون الاستواء في (استوى) مقصود به التساوي.

وفي التركيب الثاني : جاء البرد والطيالسة . كأنك قلت : جاء البرد وجاءت الطيالسة . فقصدت مجرد المشاركة بين المتعاطفين ، أما إذا نصبت الطيالسة ، فإن النصب الذي تضافر مع الواو فجعل التركيب يدل على المصاحبة والمقارنة والسببية التي قد تفهم في هذا التركيب خاصة إذا ما أدركت ما للبرد من سبب في مجيء الطيالسة.

وحين يتحدث ابن جني عن الفرق بين الواو وحروف الجر يقول : « الواو مع المفعول معه في نحو : قمت وزيدا . جارية مجرى حروف العطف ، والدلالة على ذلك أن العرب لم تستعملها قط بمعنى (مع) إلا في الموضع الذي لو استعملت فيه عاطفة لصلحت ، ألا ترى أنك إذا قلت : قمت وزيدا . أي : مع زيد ، قد كان يجوز لك فيه أن تقول : قمت وزيد . فتعطف زيدا على ضمير الفاعل؟ »[2].

وهذا يتفق مع ما لاحظناه من استقراء آيات القرآن الكريم التي يمكن القول عن الوو فيها بأنها واو المفعول معه.

---

(1) المقتصد لعبد القاهرة 661/1.

(2) سر صناعة الإعراب 142/1 تحقيق . مصطفى السقا وآخرين ط 1 ـ الحلبي ـ مصر 1954.

ولكنه قد لا ينطبق تمام على الأمثلة المصنوعة والشواهد التي حظيت بمعظم تأويلات العلماء ومناقشاتهم كما سنرى.

من هذه التراكيب مثلا قولهم : سرت والنيلَ ، وانتظرتك وطلوعَ الشمس ، يقول ابن جني : « ولم يجيزوا انتظرتك وطلوعَ الشمس . أي : مع طلوع الشمس ، قالوا : وإنما لم يجز ذلك ؛ لأنك لو رمت هنا أن تجعلها عاطفة فتقول : انتظرتك وطلوع الشمس . فترفع الطلوع عطفا على التاء لم يجز ؛ لأن طلوع الشمس لا يجوز منه انتظار أحد »[1] .

وكأن ابن جني يرى أن موقع واو المفعول معه هو موقع واو العطف التي تشرك بين المتعاطفين حتى إنه لم يجز تقديم المفعول معه على الفعل ، فهو يرفض (والطيالسة جاء البرد) بقوله : « فلما ساوقت حروف العطف قبح (والطيالسة جاء البرد) كما قبح : (وزيدا قام عمرو)[2] لكنه يجوز (جاء والطيالسة البرد) كما تقول : (ضربت وزيدا عمرا)[3].

ولكنه أيضا يفرق بين واو المفعول معه وواو العطف ، فيخصص الواو لأداء هذا المعنى في تراكيب خاصة تخلع فيها منها دلالة العطف ، يقول : « واو العطف فيها معنيان : العطف ومعنى الجمع ، فإذا وضعت موضع (مع) خلصت للاجتماع ، وخلعت عنها دلالة العطف ، نحو قولهم : استوى الماء والخشبة ، وجاء البرد والطيالسة »[4].

ومما يلاحظ من خلال دراسة النقاش الذي دار بين العلماء حول واو المفعول معه إلى جانب كثرة الأمثلة المصنوعة وندرة الشواهد من القرآن التي جعلت

(1) نفسه 1/ 142، وانظر الخصائص 1/ 313، 383/1.

(2) سر صناعة الإعراب 142/2 و(مخطوط).

(3) نفسه 2/ 240، شرح كتاب الكافية في النحو . رضي الدين 194/1،

(4) سر صناعة الإعراب 2/ 240، وانظر الخصائص 196/2.

بعضهم يقول: «لم تأت واو المفعول معه في القرآن بيقين»[1].

يلاحظ أيضا أنهم في أحيان كثيرة ـ يلجئون إلى القول بأن الواو للمفعول معه عندما يصعب عليهم القول بأنها للمشاركة في تراكيب خاصة لم تتحقق فيها السمات المطلوبة للشريكين والتي وضحناها في الفصل الأول، ويلجئون للقول فيها بأنها للعطف عندما يجدون تأويلا لظاهر التركيب أو معناه، وكأن أسلوب المفعول معه مما يجب ألا يقال به إلا في حالات الضرورة رغم كثرة الأمثلة التي صنعوها له، وربما يكون مرد ذلك لاعتقادهم أن الأصل في الواو هو أن تكون للعطف.

ا ـ امتناع المشاركة لأسباب لفظية:

وذلك في «مثل: ما لك وزيدا، و ما شأنك وعمرا؛ لأن العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الخافض ممتنع عند الجمهور، فيتعين النصب على المعية»[2].

وفي «مثل: جئت وزيدا. واذهب وعمرا؛ لأن العطف على ضمير الرفع المتصل لا يحسن ولا يقوى إلا مع الفصل، ولا فصل، فالوجه النصب؛ لأن فيه سلامة من ارتكاب وجه ضعيف عند مندوحة»[3].

أما إذا فصل بين الضمير والواو، فعندئذ تحسن المعية، كما تحسن المشاركة، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾[4].

---

(1) انظر: مغني اللبيب 360/2.

(2) انظر: حاشية الصبان على الأشموني 140/2.

(3) نفسه 138/2 وما بعدها.

(4) سورة آل عمران 20.

فكلمة : ﴿لِلَّهِ﴾ . فاصل بين الضمير والواو ؛ لذا جوزوا فيها العطف على التاء في ﴿أَسْلَمْتُ﴾.

وجوزوا أن تكون الواو بمعنى (مع) فيكون ما بعدها مفعولا معه[1].

وقال سيبويه بما يفيد ذلك ، أي : ما يفهم منه أن النصب على المعية في بعض التراكيب كان لضعف المشاركة من جهة اللفظ (أي : ظاهر التركيب) يقول في « ما صنعت وأباك : ما صنعت مع أبيك ؛ لأن الاسم ليس على الفعل في صنعت ؛ لأنك لو قلت : اقعد وأخوك . كان قبيحا حتى تقول : اقعد أنت وأخوك ؛ لأنه قبيح أن تعطف على المرفوع المضمر ، فإذا قلت : ما صنعت أنت ، ولو تركت هي . .. فأنت بالخيار ؛ إن شئت حملت الآخر على ما حملت عليه الأول ، وإن شئت حملته على المعنى الأول »[2].

2 ـ امتناع المشاركة لأسباب معنوية :

في : سرت والنيلَ ، ومشيت والحائطَ ، ومات زيد وطلوعَ الشمس ، يمتنع فيه المشاركة ؛ لأن النيل لا يسير ، وكذلك الحائط لا يمشي ، وطلوع الشمس لا يموت ، فما بعد الواو مما لا يصح مشاركته لما قبلها.

وفي قولهم : « لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها . لو أردت العطف على أن يكون التقدير : لو تركت الناقة ترأم فصيلها وترك فصيلها يرضعها لرضعها ، لكن فيه تكلف وتكثير عبارة ، فهو ضعيف ، فالوجه النصب على معنى : لو تركت الناقة مع فصيلها.

ونحو قوله :

---

(1) انظر : تفسير الكشاف 181/1.

(2) الكتاب 298/1.

إِذَا أَعْجَبَتْكَ الدَّهْرَ حَالٌ مِنَ امْرِئٍ فَدَعْهُ وَوَاكِلْ أَمْرَهُ وَاللَّيَالِيَا[1]

وقوله :

فَكُونُوا أَنْتُمُ وَبَنِي أَبِيكُمْ مَكَانَ الْكُلْيَتَيْنِ مِنَ الطِّحَالِ[2]

لأن في العطف تعسفا في الأول وتوهينا للمعنى في الثاني ، وفي النصب على المعية سلامة منهما ، فكان أولى »[3].

وكذلك المشاركة في البيت الثاني تجعل المعنى : « فكونوا أنتم وليكونوا هم ، وذلك خلاف المقصود »[4].

3 ـ امتناع المعية :

وهناك تراكيب قريبة من البيت السابق ، الفصل الأول فيها لا يتسلط على ما بعد الواو إلا بإضمار فعل مناسب[5].

ويلاحظ أن بعض العلماء جوزوا فيه النصب على المعية هروبا من القول بالمشاركة ، ولجوازه أداء معنى المعية من الناحية الشكلية[6].

يقول السيوطي : « فإن لم يصلح الفعل للتسلط على المعطوف امتنع العطف

---

(1) لم أعثر عليه في معجم شواهد العربية . والبيت في معاني القرآن للفراء 2/ 57، حاشية الصبان 2/ 139.

(2) سبق تخريجه.

(3) حاشية الصبان على الأشموني 138/2 وما بعدها.

(4) همع الهوامع 221/1.

(5) وهو من أساليب المشاركة في الإعراب انظر ص 122 من الفصل الأول واو العطف.

(6) انظر شرح الكافية رضي الدين 1/ 198، التوضيح والتكميل لشرح بن عقيل محمد بن عبد العزيز 417/1 القاهرة سنة 1967، وفي قراءة (واجمعوا) بوصل الهمزة يصبح التركيب للمعية دون إشكال انظر الحجة لابن خالويه 182 تحقيق عبد العال سالم مكرم دار الشروق ط 2 القاهرة 1977، مغني اللبيب 360/2.

obeikandl.com

عند الجمهور، وجاز النصب على المعية، وعلى إضمار الفعل الصالح، نحو: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ [1]. لا يجوز أن يجعل ﴿وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ معطوفا؛ لأن (أجمع) لا ينصب إلا الأمر والكيد، فأما أن يجعل مفعولا معه، أو مفعولا بأجمعوا مقدرا، ومثله: ﴿تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ [2]. فالإيمان مفعول معه، أو مفعول به، فاعتقدوا مقدرا»[3].

وقد اختلفت آراء النحاة وتعددت في مثل هذه التراكيب، فبينما رأى السيوطي ذلك نجد بعض العلماء يرى أنه مما يمتنع فيه العطف، ويمتنع فيه النصب على المعية أيضا.

لذلك يؤول الفعل الأول بفعل آخر يصح انصبابه على المتعاطفين، قالوا في:

... ... عَلَفتُها تِبنًا وَماءً بارِدا[4]

وفي:

إِذَا مَا الْغَانِيَاتُ بَرَزْنَ يَوْمًا وَزَجَّجْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعُيُونَا[5]

«إن العطف فيه ممتنع لانتفاء المشاركة والنصب على المعية، ممتنع لانتفاء المصاحبة في الأول وانتفاء فائدة الإعلام بها في الثاني، فأوِّلَ العامل المذكور بعامل يصح انصبابه عليهما، فأول (علفتها) بأنلتها و(زَجَّجْنَ) بزَيَّنَّ، كما ذهب إليه الجرمي والمازني والمبرد وأبو عبيدة والأصمعي واليزيدي، أو اعتقد إضمار عامل ملائم لما بعد الواو ناصب له، أي: وسقيتها ماء، وكحلن العيون،

(1) سورة يونس 71.

(2) سورة الحشر 9.

(3) همع الهوامع 221/1.

(4) سبق تخريجه ص 120.

(5) سبق تخريجه 120.

وإلى هذا ذهب الفراء والفارس ومن تبعهما »[1].

ويلاحظ أنهم بتأويلهم للفعل الأول، أو تقديرهم لفعل آخر بعد الواو، يعترفون بأن التركيب للعطف بدليل ما قدروه ليصح هذا العطف.

كما يلاحظ أيضا أنهم بهذا التأويل والتقدير يُضيّعون ما قصد من معنى جعل الأسلوب هكذا، وإلا لكان من السهل على الشاعر أو المتكلم أن يأتي بالأسلوب العادي بدلا من الغموض فيه.

وهذا الأسلوب ـ كما قلنا في الفصل الأول ـ من أساليب المشاركة بالواو في الإعراب، والذي جعله ابن هشام من خصائص الواو[2]. وجعله تحت عنوان: عطف عامل حذف وبقي معموله على عامل آخر مذكور يجمعهما معنى واحد[3].

4 ـ جواز العطف والمعية:

وفيه تُختار المعية حتى لا يفوت المعنى المراد منها رغم صحة المشاركة من ناحية اللفظ (اللفظ التركيبي) وذلك في مثل قولهم: « لا تغتذ بالسمك واللبن، ولا يعجبك الأكل والشبع، أي: مع اللبن، ومع الشبع؛ لأن النصب يبين مراد المتكلم والعطف لا يبينه[4].

ومما يجوز فيه الأمران: « عندما يؤكد ضمير الرفع المتصل، نحو: ما صنعت وأباك. ونحو: رأسه والحائط. أي: خل أو دع، وذلك مقيس في كل

(1) حاشية الصبان على الأشموني 140/2 وما بعدها.

(2) مغني اللبيب 2/ 357، همع الهوامع 2/ 149، الأشباه والنظائر في النحو 2/ 125، وحروف المعاني عبد الحي حسن 51.

(3) مغني اللبيب 357/2.

(4) همع الهوامع 221/1.

متعاطفين على إضمار فعل لا يظهر ، فالمعية في ذلك والعطف جائزان ، والفرق بينهما من جهة المعنى : أن المعية يُفهم منها الكون في حين واحد . دون العطف لاحتماله مع ذلك التقدم والتأخر »[1].

د ـ عمل واو المفعول معه :

لما كان المفعول معه له علامة إعرابية خاصة به ، وهي النصب ، أي : ليس تابعا لما قبل الواو ، كما هو الحال في واو العطف ، ثار نقاش بين العلماء حول عامل النصب هذا . فرأى بعضهم أنه الواو ، وبعضهم قدر فعلا عاملا ، ونناقش هنا عمل هذه الواو وآراء النحاة.

1 ـ الواو تنصب المفعول معه :

نُسب هذا الرأي لعبد القاهر الجرجاني ، يقول المرادي : « وأما واو (مع) فذهب عبد القاهر إلى أنها ناصبة للمفعول معه في نحو : استوى الماء والخشبة . وهو ضعيف ؛ لأن الواو لو كانت عاملة لاتصل بها الضمير في نحو : سرت وإياك »[2].

وتلك نظرة شكلية للمرادي ، أي : تبريره لعدم النصب بما يتعلق بظاهر التركيب هنا ، والسيوطي يقول : « القول الثاني : إن ناصبة الواو ، وعليه الجرجاني لاختصاصها بما دخلت عليه من الاسم فعملت فيه »[3].

ونسب بعض النحاة هذا القول لعبد القاهر أيضا[4].

---

(1) نفسه 222/1.

(2) الجني الداني في حروف المعاني للمرادي 155.

(3) همع الهوامع 220/1.

(4) انظر : شرح الكافية ، رضي الدين 1/ 194، حاشية الصبان على الأشموني 135/2 ـ البرهان 435/4.

obeikandl.com

ورأى بعضهم أن « الواو لا تعمل نصبا ولا غيره ، وذلك لأنها تشبه حروف العطف .. وحروف العطف لا اختصاص لها بالأسماء دون الأفعال ، بل تباشر الأفعال مباشرتها الأسماء ، والحروف التي تباشر الأسماء والأفعال لم يجز أن تكون عاملة ؛ إذ العامل لا يكون إلا مختصا بما يعمل فيه ، وإذا لم يجز أن تعمل الواو شيئا كان ما بعدها منصوبا بالفعل الذي قبلها »[1].

2 ـ المفعول معه ينتصب انتصاب الظرف بالواو :

رأى السيرافي أنهم لما أقاموا الواو مقام (مع) ؛ لأنها أخف في اللفظ ـ جعلوا الإعراب الذي كان في (مع) في الاسم الذي بعد الواو ؛ لأنها حرف ، كما فعلوا في المستثنى بـ(إلا) فأظهروا الإعراب فيما بعدها[2].

كما نسب كثير من النحاة إلى الأخفش أنه قال بأن المفعول معه ينتصب انتصاب الظرف بتوسط الواو [3]. يقول المرادي : « وقال الأخفش : انتصابه انتصاب الظرف ، وذلك لأن الأصل : سرت مع النيل . فلما جيء بالوا في موضع مع انتصب الاسم انتصاب (مع) والواو مهيئة لانتصاب هذا الاسم انتصاب الظرف ، ونظير ذلك إعراب ما بعد (إلا) بإعراب (غير) إذا وقعت (إلا) صفة »[4].

وهو رأي قريب من رأى السيرافي ، ولم يغفل دور الواو في العمل كقرينة لفظية ظاهرة.

---

(1) انظر معاني الحروف للرماني 59، الإيضاح العضدي لأبي علي الفارسي تحقيق : حسن شاذلي فرهود 193/1 ط 1 الرياض 1969، شرح المفصل لابن يعيش 48/2.

(2) شرح كتاب سيبويه للسيرافي تحقيق : محمد حسن محمد 3/ 14، رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر.

(3) انظر : معاني الحروف للرماني 60، الجنى الداني 156، شرح المفصل 2/ 48، شرح الكافية رضي الدين 1/ 194، همع الهوامع 1/ 220، المدارس النحوية 136.

(4) الجنى الداني 156.

3 ـ الواو تقوي الفعل وتوصله :

يقول سيبويه : « هذا باب ما يظهر فيه الفعل وينتصب فيه الاسم ؛ لأنه مفعول معه ومفعول به . وذلك قولك : ما صنعت وأباك . ولو تركت الناقة وفصيلها لرضعها . إنما أردت : ما صنعت مع أبيك ، ولو تركت الناقة مع فصيلها . فالفصيل مفعول معه ، والأب كذلك ، والواو لم تغير المعنى ، ولكنها تعمل في الاسم ما قبلها »[1].

وفي تعليق المرادي على رأي عبد القاهر بأن الواو هي الناصبة يقول : « وهو ضعيف ؛ لأن الواو لو كانت عاملة لاتصل بها الضمير ، في نحو : سرت وإياك . والصحيح أن المفعول معه منصوب بما قبل الواو ؛ من فعل ، أو شبهه بواسطة الواو »[2].

وبعد أن عرض ابن يعيش لآراء متعددة في ذلك يقول : « والصواب ما ذهب إليه سيبويه من أن العامل الفعل الأول ؛ لأنه وإن لم يكن متعديا فقد قوي بالواو النائبة عن (مع) »[3].

« فالواو مُعدّية للفعل السابق »[4] عليها ليعمل فيما بعدها ، وكذلك الزركشي يرى أنه منصوب بما قبل الواو ؛ من فعل أو شبهه بواسطة الواو »[5].

---

(1) الكتاب لسيبويه 297/1.

(2) الجني الداني 156 وانظر : ابن السراج النحوي وآراؤه النحوية والصرفية مع تحقيق أصول النحو لابن السراج محمد عبد الحسين الفتلي 154 رسالة ماجستير مخطوطة بكلية الآداب جامعة القاهرة 1970م.

(3) شرح المفصل لابن يعيش 2/ 48، وانظر : شرح الكافية . رضي الدين 12/ 194، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر 78.

(4) الأشباه والنظائر في النحو 103/2.

(5) البرهان 435/4.

4 ـ واو الصرف ونصب المفعول معه بها :

أراد القائلون بالصرف أنه قرينة معنوية : صُرف بها ما بعد واو المعية عن إعراب الأول ، وقد أطلق عليه الكوفيون (الخلاف) أو هو بتعبير آخر : إخراج المعطوف عما وقع من حكم على الفعل المعطوف عليه ، ولذلك سميت الواو : واو الصرف عند الكوفيين ، لا واو العطف.

يقول الفراء : « تقول العرب : لو تُركتَ والأسد لأكلك لما جاءت الواو ترد اسما على اسم قبله ، وقبح أن ترد الفعل الذي رفع الأول على الثاني نصب ، ألا ترى أنك لا تقول : لو تُركت وتُرك الأسد لأكلك ، فمن هاهنا أتاه النصب »[1].

وأطلق الكوفيون مصطلح الخلاف على الصرف وهم يقصدون معناه[2].

وكذلك العلماء الذين لمحوا دور الواو كقرينة لفظية لها دور يجب ألا يُغفل ـ في التركيب ـ قالوا عن الواو في مثل ذلك : واو الصرف[3] ويرى بعض المحدَثين أن مصطلح (الصرف) وضعه الفراء ، وأنه قَصد به النصب في بابين هما باب الفعل المضارع المنصوب بعد الواو والفاء ، وباب المفعول معه[4].

ولكن مصطلح (الصرف) موجود في كتاب **الجمل** الذي ينسب للخليل بن أحمد الفراهيدي ففيه : « النصب بالصرف : قولهم : لا أركب وتمشيَ ، ولا أشبع وتجوعَ »[5]. وهو هنا متعلق بالواو الداخلة على المضارع المنصوب ، ولم

---

(1) معاني القرآن للفراء 2/ 71، 1/ 33، 1/ 391، وتفسير الطبري 1/ 569، الإتقان 2/ 555، المدارس النحوية 165، 198.

(2) المصطلح النحوي نشأته وتطوره 187.

(3) الإتقان 155/2.

(4) المصطلح النحوي 187، المدارس النحوية 198.

(5) الجمل للخليل بن أحمد 68.

يُجعل للواو دور في هذا النصب ، أو لم يذكر لنا دورها ، وإنما ذكر أن النصب أتى بسبب إسقاط ضمير المخاطب ، فهو يرى في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ [1]. أن معناه : ولا تلبسوا الحق بالباطل وأنتم تكتمون الحق ، فلما أسقط (أنتم) نصب[2].

5 ـ المفعول معه منصوب بفعل مقدر بعد الواو :

وقد نُسب هذا الرأى للزجاج[3]؛ يقول المرادي : « وذهب الزجاج إلى أن ناصبة مُضمر بعد الواو (من فعل أو شبهه) وتقديره في : ما صنعت وأباك ، وتلابس أباك »[4].

تلك آراء النحاة حول نصب المفعول معه ، ودور الواو ، أو عملها ، أو معناها في هذا النصب.

6 ـ رأي الباحث :

الرأي القائل بأن الواو تنصب المفعول معه لا يجعل للفعل قبلها دور في هذا النصب وهذا ـ في ظني ـ قد لا يتفق مع طبيعة هذا التركيب بالذات الذي سوف ترى أنه لا بد من الفعل قبل الواو ، أو حتى معناه في كل التراكيب التي جاءت ـ وخاصة في القرآن الكريم ـ من هذا النوع ؛ لذا فإنه لا بد من دور لهذا الفعل.

---

(1) سورة البقرة 42.

(2) الجمل للخليل 68.

(3) انظر : هامش كتاب سيبويه 1/ 297، مرجع الفصل 2/ 48، شرح كافية رضي الدين 1/ 194، الإنصاف 1/ 248، الجني الداني 2155، همع الهوامع 1/ 220، المدارس النحوية 136.

(4) الجنى الداني 155.

وقد ذكر المرادي تعليلا شكليا يرفض به ذلك، وهو أن الواو لا يتصل بها الضمير في نحو: سرت وإياك. أي: لا تقول سرت وك.

أما الرأي القائل بأن: المفعول معه ينتصب انتصاب الظرف بالواو. فهو - في ظني - تعليل شكلي ظاهري لا يضع المعنى في مقدمة البحث عن العلة، اللهم ما نُسب إلى الأخفش من أنه للواو دور في هذا النصب، وهو تهيئة لانتصاب المفعول معه انتصاب الظرف، ولا أميل لرأي الزجاج في أن المفعول معه منصوب بإضمار فعل بعد الواو؛ لأننا عندما نقدر هذا الفعل في قولنا: ما صنعت وأباك. نقول: ما صنعت ولا بست أباك، نجد أن التركيب تحول إلى تركيب عطفي عادي، الواو فيه للمشاركة بين الفعلين، وتضيع منا - أو من التركيب - معاني المقارنة والمصاحبة التي قُصدت بجعل التركيب على هذه الصورة، والتي تضافرت فيه قرينة النصب مع الواو مع الفعل - الذي قبل الواو - على أدائها.

وقد يكون هذا ما جعل المرادي يعلق على قول الزجاج بقوله: « .. وهو ضعيف؛ لأن فيه إحالة لباب المفعول معه؛ إذ المنصوب بتلابس مفعول به »[1]. فالمرادي رأى أنه على قول الزجاج يتحول المفعول معه إلى مفعول به، ويهمنا هنا في الواو معناها الذي يتحول أيضا من معنى المعية إلى معنى المشاركة فتفوت الفائدة.

وإذا كان الزجاج يرى أن الفعل قبل الواو لم يعمل في المفعول معه؛ لأن الواو بينهما، إذن فكيف ينتصب أو يرتفع الفعل بعد الواو في تركيب العطف العادي في مثل قولك: أقبل محمد وعلي[2].

(1) نفسه 155.

(2) صور الإعراب ودلالاته د. صابر بكر أبو السعود 98.

وأرى أن الرأي القائل بأن الواو تقوى الفعل وتوصله هو الصواب ؛ لأنه رأى يسير ويتفق مع ظاهر التركيب أيضا ، ولأنه في حالة إضمار فعل بعد الواو ـ كما سبق أن رأينا عند الزجاج ـ فذلك لمراعاة ظاهر التركيب ولكنه ـ كما قلنا ـ يضيع الفائدة ، أي : يفوت معنى المعية والمصاحبة المقصودة من التركيب بأكمله ، أما هذا الرأي فهو يسير مع المعنى ولا يغفل الجانب اللفظي ، أي : القواعد التركيبية ، ومعنى الواو فيه قريب من معنى الفعل والواو فيه أداة لتقوية الفعل الضعيف ، فكان الفعل يتم بها ويستكمل شأنها شأن أي حرف ، « فأنت تقول : سرت على شاطئ النيل . وتقول : سرت في الحديقة . وسرت على الجبل . فيعطى الحرف دلالة الفعل »[1].

« والواو الكائنة بمعنى (مع) في قولنا : لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها ، بمنزلة حرف الجر في التوسط بين الفعل والاسم وإيصاله[2]. وهي تقوي الفعل اللازم وتعديه.

وفي النصب بالصرف إذا ما أعطينا الواو لقب (واو الصرف) نكون أيضا غير مغفلين دورها ومعناها ؛ لأننا اعتبرناها ـ وهذا حقها في التركيب ـ قرينة لفظية ذات فائدة ومعنى.

حتى في الآراء التي يلحظ فيها أن علة النصب في المفعول معه قد تكون ـ غير ما سبق من علل ؛ كالسببية التي تفهم من مثل قولهم : جاء الشتاء وملابس الصوف ، فالشتاء سبب في استخدام ملابس الصوف ، ولذلك تنصب الملابس مفعولا معه ولا تعطف »[3]. فإنه يمكن لنا أن نلمح للواو دورًا في هذا النصب

(1) صور الإعراب ودلالاته د . صابر بكر أبو السعود 98.

(2) التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية 78.

(3) همع الهوامع 219/1 وانظر : المدارس النحوية د . شوقي ضيف 141.

أيضا لما فيها من معنى السببية.

إن من أهم ما تقوم به واو المعية في التركيب هو إعمال ما قبلها فيما بعدها وهذا ما جعل ـ في ظني ـ برجشتراسر يعد الواو هنا ذات معنى غامض، ويفسره بأن الواو ترمز إلى شيء من تأثير الاسم السابق لها فيما بعده، أو التأثر به.

يقول برجشتراسر: «وأظن أن القدماء من النحويين أصابوا في رأيهم أن الواو في مثل: ما أنت والكلام، تؤدي معنى (مع) وتعمل النصب. وفي تسميتهم إياها (واو المعية) مع أن أصل معناها غامض جدا.

وواو المعية تستعمل في الجمل الكاملة أيضا، نحو: استوى الماء والخشبة. أي: كان سطح الماء في مستوى الخشبة، فمعنى الواو في هذا المثال، وفي أكثر الأمثلة الفصيحة، لا يطابق معنى (مع) تماما، بل هو أخص منه، كأن الواو ترمز إلى شيء من تأثير الاسم السابق لها فيما بعده أو التأثر به»[1].

وفيما يلي نناقش علاقة واو المفعول معه بالفعل قبلها لنرى علاقة ما قبل الواو بما بعدها، وأثره عليه، أو تأثر ما بعد بما قبلها.

هـ ـ علاقة واو المفعول معه بالفعل قبلها:

1 ـ ما قبل الواو فعل غير ظاهر:

وهو مقدّر في المعنى، كما في قولهم: كيف أنت وزيدا. وكيف أنت وقصعة من ثريد.

وهو قليل في كلام العرب، فقد قال سيبويه: «وزعموا أن ناسا يقولو: كيف أنت وزيدا. وما أنت وزيدا. وهو قليل في كلام العرب، ولم يحملوا

(1) التطور النحوي. برجستراسر 131 وما بعدها.

الكلام على (ما) ولا (كيف) ، ولكنهم حملوه على الفعل ، على شيء لو ظهر حتى يلفظوا به لم ينقض ما أرادوا من المعنى حين حملوا الكلام على (ما) و(كيف) ، كأنه قال : كيف تكون وقصعة من ثريد ، وما كنت وزيدا ؛ لأن (كنت) و(تكون) يقعان ها هنا كثيرا ولا ينقضان ما تريد من معنى الحديث »[1].

فسيبويه لمّا رأى أن في الاستفهام معنى الفعل ، أضمر هذا الفعل ، أو قدر هذا الفعل تبريرا لنصب المفعول معه ، مع تقوية الواو له ، قال : « وزعموا أن الراعي كان ينشد هذا البيت نصبا :

أَزمانَ قَومي وَالجَماعَةَ كَالَّذي مَنَعَ الرِحالَةَ أَن تَميلَ مَميلا[2]

كأنه قال : أزمان كان قومي والجماعة . فحملوه على (كان)[3]، وأما في مثل : ما لك وزيدا ، وما شأنك وعمرا . يتعين النصب أيضا ، والمعنى : ما شأنك وتناولك زيدا ، قال المسكين الدرامي :

فَمَا لَكَ وَالتَّلَدُّدَ حَوْلَ نَجْدٍ وَقَدْ غَصَّتْ تِهَامَةَ بِالرِّجَالِ[4]

نصب التلدد بتقدير الملابسة »[5].

ورأى بعضهم أن النصب في : ما شأنك وزيدا ، وما لك وزيدا . بـ(كان) مضمرة قبل الجار ، وهو اللام وشأن . أي : ما كان شأنك وزيدا ، أو بمصدر لابس منوّيا بعد الواو ، أي : ما شأنك وملابستك زيدا »[6].

---

(1) الكتاب 1/ 303، وانظر همع الهوامع 221/1.

(2) ينسب للراعي النميري الكتاب 1/ 305، معجم شواهد العربية 1/ 272، همع الهوامع 2/1 228/ 156، شرح الأشموني 380/2.

(3) الكتاب 305/1.

(4) ينسب لمسكين الدرامي . الكتاب 306/1 معجم شواهد العربية 3061/1.

(5) انظر هامش كتاب سيبويه 306/1.

(6) همع الهوامع 1/ 221، وبه خلاف بين العلماء حول كان المقدرة هل هي التامة أو الناقصة؟

وقدر بعضهم فعلا (لابس) لأنهم رأوا أن المصدر لا يعمل مقدرا[1].

فيكون المعنى عندهم: ما شأنك ولابست زيدا، وفي الحالتين يصبح الأمر ـ كما قلنا سابقا ـ خروجا عما قصد بالتركيب لأداء، معنى المعية إلى العطف حتى وإن أحسست بمعنى المعية من هذا الفعل المقدر؛ لأن القرائن اللفظية أوضح في أدائها للمعنى المراد من التركيب من تلك القرينة المقدرة، والتي يختلفون فيها، أهي مصدر أم فعل؟

كما أن تقدير الفعل (لابس) أو تقدير المصدر (ملابسة) قد يحل المسألة من ناحية ناصب المفعول معه فيبرر النصب، ولكنه ـ كما قلنا ـ يفوت معنى المعية «ففي تقدير الملابسة يصبح المنصوب مفعولا معه»[2]. وهذا ما جعل أبو حيان يرى أن «تقدير سيبويه هذا إنما كان تقدير المعنى لا الإعراب»[3].

2 ـ ما قبل الواو اسم فيه معنى الفعل:

وقد قدر سيبويه الفعل فيه بقوله: «ومن ثم قالوا: حسبك وزيدًا. لما كان فيه معنى كفاك، وقبح أن يحملوه على المضمر نووا الفعل، كأنه قال: حسبك وبحسب أخاك درهم[4].

وأيضا هنا يمكن لنا أن نقول: إن تقدير الفعل (بحسب) بعد الواو يحول التركيب إلى نمط عطفي عادي، الواو فيه للمشاركة، اللهم إذا فهمنا أن سيبويه يقصد تقدير المعنى لا الإعراب ـ كما قال أبو حيان ـ كما أنه يمكن أن يقدر المعنى: بحسبك وأخاك درهم. فيتناسب المعنى مع الإعراب؛ لأن المفعول معه

(1) نفسه 222/1.

(2) نفسه 221/1.

(3) نفسه 221/1.

(4) الكتاب 310/1.

هو المفعول معه فعل[1] وليس معمول الفعل.

وفي القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[2]. رأى المفسرون أن: «﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾ الواو بمعنى (مع) وما بعده منصوب. تقول: حسبك وزيدا درهم. ولا تجر؛ لأن عطف الظاهر المجرور على المضمر ممتنع»[3].

وقد أجازوا النصب على المعية فيما بعد الواو، وما قبلها اسم فيه معنى الفعل في قول الشاعر:

لاَ تَحْسَبَنَّكَ أَثْوَابِي فَقَدْ جُمِعَتْ هَذَا رِدَائِيَ مَطْوِيًّا وَسِرْبَالاَ[4]

فقد نصب سربالا على ما في (مطويا) من معنى الفعل»[5].

3 ـ ما قبل الواو فعل مضمر وجوبا:

وذلك في تراكيب التحذير؛ لأن للواو دورها في تقوية الفعل؛ لذا منع سيبويه نصب المحذر بدون الواو، قال سيبويه: «واعلم أنه لا يجوز أن تقول: إياك زيدا. كما أنه لا يجوز أن تقول: رأسك الجدار. حتى تقول: من الجدار، أو والجدار»[6].

فالواو عامل لفظي له معناه في التركيب، وهو ضم الاسم الذي بعدها؛ لذا

---

(1) المصطلح النحوي نشأته وتطوره 187.

(2) سورة الأنفال 64.

(3) تفسير الكشاف 2/ 167، دراسات لأسلوب القرآن 510/3.

(4) البيت غير منسوب في معجم شواهد العربية 1/ 268، وهو من شواهد شرح الأشموني 2/ 368، وحاشية الصبان 137/2.

(5) حاشية الصبان 137/2.

(6) الكتاب 279/1 وقد جوز بعض العلماء حذف الواو في مثل: إياك إياك المراد من أجل تكرير إياك كأنه جعل إحداهما عوضا عن الواو، انظر: ما يجوز للشاعر في الضرورة 135.

فإن سيبويه يبرر لضرورة الواو هنا قبل الاسم « بأنه اسم مضموم إلى آخر »[1].

ومنه أيضًا : قولك إياك والأسد ، وإياي والشر ، وكأنه قال : إياك فاتقين ، فإياك متقي ، والأسد والشر متقيان ، فكلاهما مفعول ومفعول منه »[2]. « ومن ذلك : رأسه والحائط ، كأنه قال : خل أو دع راسه والحائط ، فالرأس مفعول ، والحائط مفعول معه ، فانتصبا جميعا ، ومن ذلك قولهم : شأنك والحج . كأنه قال : عليك شأنك مع الحج[3]، وسيبويه لم يذكر في كل الأمثلة السابقة أن ما بعد الواو مفعول معه ، ولكنه ذكر أن ما بعدها مفعول ومفعول منه ، أما في رأسه والحائط ، وشأنك والحج ، وامرؤ ونفسه ، فذكر أن ما بعدها مفعول معه ، وأن الواو بمعنى مع[4].

ثم قال : « وإن شئت لم يكن فيه ذلك المعنى ، فهو عربي جيد ، كأنه قال : عليك رأسك وعليك الحائط ، وكأنه قال : دع امرأ ودع نفسه ، فليس ينقض هذا ما أردت في معنى (مع) من الحديث »[5].

وأظن أن هذا التقدير الأخير يفوت المعية ، ويصبح التركيب أقرب لمعنى المشاركة منه لما هو مقصود منه وهو المصاحبة والمقارنة ، أي : المعية ، صحيح أنه في دع امرأً ودع نفسه فيه الاحتمالات الثلاثة ، أي : المعية ، وأن يكون أحدهما قبل الآخر ، ولكن في التركيب الأول دع امرأً ونفسه دون تقدير ليس له ، والاحتمال واحد وهو المعية.

وقد تابع ابن الحاجب سيبويه في تجويز الأمرين في (امرأً ونفسه) وأهلكَ

(1) الكتاب 294/1.

(2) نفسه 274/1.

(3) الكتاب 1/ 275، وانظر الجمل في النحو للزجاجي 307. تحقيق علي توفيق الحمد ـ الأردن ط 1980 2.

(4) الكتاب 275/1.

(5) نفسه 275/1.

والليلَ [1]. وفسر بعضهم : أهلَك والليلَ على أنه : الحق أهلك قبل الليل ، وقال بعضهم في ذلك التفسير : إنه تفسير المعنى لا تفسير الإعراب ، وإنما تقدير الإعراب : الحق أهلك وسابق الليل [2]؛ لأنك لو قلت : قبل الليل فقد تجره.

ولكني أرى أن : أهلك والليل ، تركيب للواو دور فيه ، فالليل مفعول منه ، وهو قريب من المفعول معه ، فهما يدلان على المصاحبة والمقارنة ؛ يقول السيوطي :

« وفي إياك والأسد : يعطفون الأسد على ضمير المخاطب ، والفعل الناصب لهما مختلف المعنى ؛ لأن المخاطب مخوف ، والأسد مخوف منه ، فجاز العطف وإن اختلف نوع التخويف ؛ لأن جنس التخويف قد انتظمها »[3].

وهو بذلك يقربه من العطف بمعناه العام ، ويلمح من كلامه معنى المعية في التركيب من قوله : (قد انتظمهما) حتى لو قلت (وسابق الليل) كما رأى بعضهم ، فإن الليل بذلك يصبح مفعولا به لا مفعولا معه.

مما سبق يمكن القول بأن : رأسك والحائط والتي يمكن تقديرها بـ (رأسك من الحائط) وكذلك : ما زلت وزيدا والتي يمكن تقديرها بقولك (ما زلت بزيد) إن الحرف (من) وحرف (الياء) اللذين يصلحان لهذا الأسلوب ـ كالواو تماما ـ هما أيضا بمعنى مع لما فيهما من معاني الإلصاق والمصاحبة والمقارنة ، فالتركيب للمعية.

أما تجويز بعضهم أن يكون مثل هذين التركيبين للمشاركة ، فإنه ليس مؤديا للمعنى المراد منهما وإن صحت المشاركة فيهما لفظا ومعنى.

---

(1) شرح الكافية رضي الدين 129/1.

(2) الخصائص 1/ 279، 3/ 261، المنصف 1/ 131، الأشباه والنظائر في النحو 215/2.

(3) الأشباه والنظائر في النحو 11/4.

4 ـ ما قبل الواو ليس فعلا ولا فيه معنى الفعل :

وذلك في مثل : كل رجل وصنعته ، وأنت أعلم ومالك.

ما قبل الواو مفرد : ـ (كما في كل رجل وضيعته).

وقد اضطربت أقول كثير من النحاة في معنى الواو فيه ، وكأنهم رأوا أنه لا بد من الفعل قبل الواو ، حتى يكون ما بعدها مفعولا معه ، وقد «منع فيه بعضهم المعية وجعلوه متعينا للعطف [1]، وهو رأى الجمهور[2].

وقد جوز الصيمري فيه النصب بلا تأويل ، وجوز بعضهم فيه النصب على تأويل ما قبل الواو أنه جملة حذف ثاني جزء بها ، والتقدير : كل رجل كائن وضيعته »[3].

ما قبل الواو جملة غير متضمنة معنى الفعل :

مثل : أنت أعلم ومالك . وقد عطفوا ما بعد الواو على (أنت) وجعلوا نسبة العلم إليه مجازا [4]، ومنعوا أن يكون مفعولا معه ؛ لأنهم لم يتمكنوا من تأويل لنصبه.

وأرى أن الواو قد تفيد المعية حتى ولو لم يكن ما بعدها منصوبا ، فلو تأملنا التركيب : كل رجل وصنعته . وجدنا معناه : كل رجل ملازم لصنعته ، أضف إلى ذلك أيضا أنهم يعدون معناه : « كل رجل وصنعته مقرونان »[5]، فهم وأن منعوا النصب فإننا نجد معنى المعية فيها لا يبرحها حتى من خلال ما تأولوه من

(1) همع الهوامع 221/1.

(2) نفسه 241/1.

(3) همع الهوامع 221/1.

(4) نفسه 241/1.

(5) انظر الكتاب 299/1.

obeikandl.com

خبر لما بعد الواو هو قولهم (مقرونان) .

وقال سيبويه : « ولو قلت : أنت وشأنك ، كنت كأنك قلت : أنت وشأنك مقرونان ، وكل امرئ وصنعته مقرونان ؛ لأن الواو في معنى (مع) هنا يعمل فيما بعدها ما عمل فيما قبلها من الابتداء والمبتدأ.

ومثله : أنت أعلم ومالك ، فإنما أردت أنت أعلم مع مالك ، وأنت وعبد الله . أي : أنت أعلم مع عبد الله ، وإن شئت كان على الوجه الآخر ، كأنك قلت : أنت وعبد الله أعلم من غيركما ، فإن قلت : أنت أعلم وعبد الله في الوجه الآخر ، فإنها أيضا تعمل فيما بعدها الابتداء ، كما عملت في : ما صنعت وأخاك (صنعت) فعلى أي الوجهين وجهته صار على المبتدأ ؛ لأن الواو في المعنيين جميعا يعمل فيما بعدها ما عمل في الاسم الذي تعطفه عليه »[1].

ورأى سيبويه أيضا أن عدم إضمار الفعل في (أنت وشأنك) أفاد معية الوقت واللحظة ، يقول : « وإذا قال : أنت وشأنك . فإنه أجري كلامه على ما عليه الآن »[2].

ونص ابن جني على أن الواو في ذلك بمعنى (مع) ووضح معنى المعية في هذا التركيب ، قال : « كل رجل وصنعته ، وأنت وشأنك . معناه : أنت مع شأنك ، وكل رجل مع صنعته ، فهذا يوهم مَن أتم أن الثاني خبر عن الأول ، كما أنه إذا قال : أنت مع شأنك . فإن قوله (مع شأنك) خبر عن أنت ، وليس الأمر كذلك ، بل لعمري إن المعنى عليه غير أن تقدير الإعراب على غيره ، وإنما (شأنك) معطوف على (أنت) والخبر محذوف للحمل على المعنى ، فكأنه قال : كل رجل وصنعته مقرونان ، وأنت وشأنك مصطحبان »[3].

---

(1) نفسه 1/299.

(2) نفسه 1/299.

(3) الخصائص 1/283.

و ـ واو المفعول معه ومعنى باء الإلصاق :

عندما تقول : أنت أعلم ومالك يمكن لك تقديرها : أنت أعلم بمالك . وقلنا : إن الباء تفيد المعية والمقارنة أيضًا ، وهذا ما جعل ابن هشام يعدها قسما قائما برأسه ، أي : أنه جعل من معاني الواو : الواو بمعنى باء الإلصاق :

ونبحث عن دلالة ذلك فيما نقله السيوطي عنه يقول : « ويفاد بالحرف الواحد معنى الحرفين ، فإن الواو تفيد حينئذ في معنى الإلصاق لنيابتها عن حرف الباء ، وتفيد في اللفظ تشارك الاسمين في الإعراب اعتبارا بأصلها وظاهر لفظها »[1].

ويبرر لكون الواو بمعنى الباء بقوله : « وأما أنت أعلم ومالك . فمشكل ؛ لأنه إذا عطف على (أنت) لزم كون أعلم خبرا عنهما ، أو على (أعلم) لزم كونه شريكه في الخبرية ، أو على (ضمير أعلم) لزم أيضا نسبة العلم إليه ، والعطف على الضمير المرفوع المتصل من غير توكيد ولا فصل وإعمال أفعل في الظاهر.

وإن قدر مبتدأ حذف خبره لزم كون المحذوف أعلم.

والوجه فيه : أن الأصل بمالك ، ثم أنيبت الواو مناب الياء قصدا للتشاكل لا الاشتراك المعنوي »[2].

ويبرر لتقدير سيبويه السابق : (أنت أعلم مع مالك) بقوله : « وقد يكون مراده تفسير ما يتحصل من المعنى ، وذلك لأنه ليس المراد الإخبار بأن المخاطب أعلم على الإطلاق ، بل إنه إذا كان مع ماله كان أعلم كيف يدبره ، أوأنه إذا اعتبر مع ماله كان أعلم به ، وفي كلام سيبويه من هذه التجوزات ما لا خفاء به

(1) الأشباه والنظائر في النحو 86/4.

(2) نفسه 87/4.

لمن وقف على كلامه[1].

ورأى السيرافي في المناظرة المشهورة التي وقعت بينه وبين متّى بن يونس أن الواو تكون بمعنى باء الجر، ومثل ذلك بقولهم: استوى الماء والخشبة. أي بالخشبة[2].

- وفي قوله تعالى: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾[3]. رأى الأخفش أنه «يجوز في العربية أن تكون (وآخر) بمعنى بآخر، كما تقول: استوى الماء والخشبة. أي: بالخشبة، وخلطت الماء واللبن. أي: باللبن»[4]، بل إنها تزيد هنا عن معنى الباء معنى الجمع الذي سبق أن وضحناه في الفصل الأول، وإلا لكان من الأفضل القول خلطت الماء باللبن دون الخروج إلى حرف الواو، فالخروج من حرف إلى حرف له دلالته الخاصة، وهي هنا إفادة معنى الحرفين (حرف الباء إلى جانب إفادة معنى الجمع الذي في الواو، ويمكن لنا أن نقول: إنه سواء قدر سيبويه الواو هنا بمعنى (مع) أو رأى غيره أن ذلك تفسير المعنى لا الإعراب مبررا لذلك بتأويلات متعددة[5]، أو رأوا أنها بمعنى باء الإلصاق ـ فإن معنى الملازمة موجود في الحرفين، فقد جاءت الواو بمعنى الباء والباء التي للإلصاق قد تأتي بمعنى (مع) كما في قوله تعالى: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾[6] فقد فسروا معناها على أنه: وضاقت عليكم الأرض مع رحبها[7].

---

(1) نفسه 87/4.

(2) الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان 118/1.

(3) سورة التوبة 102.

(4) معاني القرآن للأخفش 564/2.

(5) انظر الأشباه والنظائر في النحو 87/4 وما بعدها.

(6) سورة التوبة .25.

(7) تفسير الكشاف 146/2 وانظر: الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين د. هادي عطية مطر 249 ط 1 بيروت 1986م.

ز ـ واو المفعول معه في القرآن الكريم :

1 ـ أسباب تعدد التوجيهات الإعرابية فيها :

ارتبط هذا الأسلوب في القرآن الكريم بتعدد التوجيهات الإعرابية للتركيب الواحد ، وكلها محاولات جاهدة بذلها العلماء لتحديد المعنى المراد من الآيات ، وكلها تنم عن وعي وفهم دقيق للتراكيب ، وتدل على الإخلاص والدقة ، ومع ذلك نجد في هذه التأويلات أحكاما عامة قد لا تتفق مع معنى التركيب الدقيق ، من ذلك قول بعضهم : لم ترد واو المفعول معه في القرآن بيقين[1].

وقد يكون من أسباب ذلك أنهم عدوا واو المفعول معه في الأصل واو عطف بمعناها العام (الضم أو الرد) ولكن هناك فرق بين العطف المقصود به المشاركة بين متعاطفين لهما سمات خاصة أجازت للواو المشاركة بينهما وبين المفعول معه الذي تُصحبه الواو مع فعل سابق عليها ، أو معناه أو تُعمله فيه ، أو قل : تقوية وتوصّل عمله وتعديه إليه ، كما أنها تُعمل المبتدأ فيما بعدها ، فيرفع كما قال سيبويه في المفعول معه المرفوع.

وقد ذكر الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة في دراساته اثنتين وعشرين آية من هذا النوع[2].

وهناك آيات أخرى لم يذكرها في معجمه ، وكلها تحتمل المشاركة والمعية.

ونحاول هنا البحث عن أسباب تردد العلماء في هذه الآيات بين هذين المعنيين من خلال تأمل التركيب وتأمل معناه . ويمكن لنا أن نحدد من هذه

---

(1) مغني اللبيب 360/2.

(2) انظر دراسات لأسلوب القرآن 512/3 وقد أتبع هذه الآيات بنصوص لبعض العلماء بها توجيهات إعرابية والمعية أحد هذه التوجيهات.

الأسباب ما يأتي :

أسباب تتعلق بقرينة النصب :

من ذلك :

ـ أن تكون قرينة النصب موجوده ولكن لا تكفي وحدها دليلا على أن ما بعد الواو مفعول معه ، لاحتمال كونه مفعولا به ، أو مشركا مع مفعول به وذلك في مثل : قوله تعالى : ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ [1]. وقوله تعالى : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ [2]، وقوله تعالى : ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾ [3]. وقوله تعالى : ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ﴾ [4]. إلى غير ذلك من الآيات المماثلة[5].

وفي الآية الأخيرة يمكن لنا أن نعد الواو في : ﴿جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ﴾ . واو الجمع لدلالة الفعل جمع[6].

وفي القرآن آيات ، ما قبل الواو فيها اسم فعل ، كقوله تعالى : (ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاءكم)[7] في قراءة النصب[8].

أو معنى الفعل الذي يستدعيه الحرف (لو) كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

---

(1) سورة الكهف 50.

(2) سورة مريم 68.

(3) سورة الأنبياء 19.

(4) سورة المرسلات 38.

(5) انظر الآيتين ـ النور 41 في قراءة النصب ، الصافات 21.

(6) انظر ص 43 من الفصل الأول واو العطف (معنى الجمع).

(7) سورة يونس 38.

(8) تفسير الكشاف 235/2.

obeikandl.com

﴿كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِن عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾[1].

ومن الآيات التي لم يذكرها الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة قوله تعالى: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾[2]. ذكر أبو البقاء العكبري عدة أوجه لإعراب الطير، منها «أن تكون الواو بمعنى (مع)، والذي أوصلته الواو أوّبي؛ لأنها لا تنصب إلا مع الفعل»[3].

وقوله تعالى: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾[4]. قال الزمخشري: ويجوز أن تكون الواو بمعنى (مع) أي: إني رأيت الكواكب مع الشمس والقمر[5]. وقال بذلك النسفي أيضا[6].

ـ قرينة النصب غير ظاهرة؛ لأن المفعول معه ضمير مبني أو جملة، من ذلك قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[7]. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[8]. ومثل ذلك من الآيات[9].

نجد أن ما بعد الواو، والذي يصح أن يكون مفعولا معه، إلا أن قرينة النصب يتعذر ظهورها فوقه؛ لأنه ضمير (ما) أو (من)، وقد يكون ذلك سببا في عدهم التركيب من تراكيب المشاركة أو المعية.

---

(1) سورة المائدة 36.

(2) سورة سبأ 10.

(3) التبيان للعكبري 2/ 1064، وانظر مشكل إعراب القرآن للقيسي 2/ 203، وتفسير الكشاف 302/2.

(4) سورة يوسف 4.

(5) تفسير الكشاف 302/2.

(6) تفسير النسفي 162/2 المطبعة الحسينية . القاهرة 1344هـ.

(7) سورة الأنعام 137/112.

(8) سورة الأنفال 64.

(9) الآيات الفرقان 17، القلم 44، المدثر 11، آل عمران 20، الرعد 23.

أسباب تتعلق بالمعنى :

كما أن هناك تراكيب رأى بعضهم أن الواو فيها يجوز أن تكون عاطفة، وأن تكون للمعية، كقوله تعالى : ﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [1]. فقد رأى فيها العكبري جواز العطف[2] مع أن توجيه العطف في ذلك يكون معناها : فذرني وذر المكذبين، أو اتركني واترك المكذبين، وهذا لا يسير مع المعنى[3]، ومثل ذلك قول العكبري في قوله تعالى : ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [4]. « يجوز أن تكون الواو بمعنى (مع) وأن تكون عاطفة »[5]. لو جعلت الواو (فيه) عاطفة لكان معناه : إن الله تعالى أمر نبيه ـ عليه السلام ـ أن يتركه، كأنه قال : اتركني واترك من خلقت وحيدا[6]. وهذا لا يسير مع المعنى.

أسباب تتعلق بظاهر التركيب :

وهو ما أسميناه : السمات الشكلية أو اللفظية المطلوبة لما تشرك بينهما الواو، وقد ذكرنا لجوء بعض النحاة إلى القول بأن تركيبًا ما هو للمعية عندما يرى أن المشاركة فيه ممتنعة لأسباب شكلية (ظاهرية).

ومن هذه التراكيب قوله تعالى : ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ [7]. وقوله

---

(1) سورة المزمل 12.

(2) انظر التبيان 1247/2.

(3) انظر البرهان 2/ 198، 436/4.

(4) سورة المدثر 11.

(5) البرهان 2/ 198، 436/4.

(6) التبيان 125/2.

(7) سورة يونس 71.

تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾[2]. وهو من أساليب المشاركة في الإعراب[3].

أسباب تتعلق بالقراءات:

القراءة يجب أن تصحح القاعدة النحوية، وليس المطلوب منا أن نبحث عن تأويل نصحح به القراءة، والقراءات كالآيات تكثير للمعنى، وهي نوع من الإعجاز القرآني بالإيجاز، لذلك كان للقراءات آثار جعلت بعض النحاة يجعلون قراءة للمشاركة وأخرى للمعية، وهذا ليس بخطأ، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾[4].

(الطير) منصوب، وفي نصبه وجهان:

أحدهما: أن يكون معطوفا على (الجبال).

والثاني: أن يكون منصوبا؛ لأنه مفعول معه[5]. وقرئ بالرفع عطفا على الضمير في ﴿يُسَبِّحْنَ﴾[6]. وكذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾[7] قراءة الجمهور بالنصب[8]. في ﴿وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ فتكون الواو

(1) سورة الفرقان 12.

(2) سورة الحشر 9.

(3) انظر ص 122 من الفصل الأول واو العطف (المشاركة في الإعراب).

(4) سورة الأنبياء 79.

(5) البيان لابن الأنباري 2/ 162، التبيان للعكبري 923/2.

(6) التبيان للعكبري 923/2.

(7) سورة يونس 71.

(8) التبيان للعكبري 681/2.

للمشاركة في الإعراب، كما سبق أن وضحنا ووجهه بعضهم على أنه مفعول معه تقديره مع شركائكم[1]. وقرئ بالرفع عطفا على الضمير في أجمعوا[2].

❊ ❊ ❊

(1) نفسه 2/681.

(2) نفسه 2/681.

obeikandl.com

ثانيا : واو الجمع

وهي الواو الداخلة على المضارع المنصوب

أ ـ معنى المعية في واو الجمع :

للنحاة في هذه الواو تسميات متعددة :

* فكثير منهم لم يذكر معنى المعية فيها.

* ومنهم من يقول عنها : إنها الواو الواقعة في جواب الأمر والنهي.

* ومنهم من يسميها الواو الداخلة على المضارع المنصوب لعطفه على اسم صريح أو مؤول.

* ومنهم من يسميها واو الجمع ، ولتعدد هذه التسميات واختلافها أسباب منها :

ـ أنهم ـ أحيانا ـ نظروا إليها من جهة موقعها في التركيب ، فأطلقوا عليها اسم التركيب ، فقالوا عنها : الواو الواقعة في جواب الأمر والنهي والتمني.

ـ وبعضهم نظر للتركيب إلى جانب مراعاته لمعناها ، فهي عنده الواو الداخلة على المضارع المنصوب لعطفه على اسم صريح أو مؤول.

ـ ومنهم من نظر إلى معناها فقط ، فهي واو الجمع وواو المعية.

لم يذكر سيبويه معنى المعية في هذه الواو ، ولكنه بعد أن ذكر ما تتفق فيه الواو مع الفاء ذكر أن الواو في مثل قول الأخطل :

لاَ تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ[1]

(1) سبق تخريجه ص 48.

obeikandl.com

أريد بها : لا يجتمعن النهي والإتيان فصار (تأتي) على إضمار أن[1].

ويستمر في عرض الشواهد ، ثم يقول : « ومن النصب في هذا الباب قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [2]. وقد قرأها بعضهم[3]: (ويعلمِ الصابرين) »[4].

ولم يجعل المبرد لهذه الواو معنى إلا الجمع بين الشيئين يقول : « فإن جعلت الثاني جوابا ، فليس له في جميع الكلام إلا معنى واحد ، وهو الجمع بين الشيئين ، وذلك قولك : لا تأكل السمك وتشربَ اللبن . أي : لا يكون منكم جمع بين هذين :

فإن نهاه عن كل واحد منهما على حال ، قال : لا تأكل السمك وتشربْ اللبن ؛ لأنه أراد : لا تأكل السمك على حال ، ولا تشرب اللبن على حال ، فتمثله في الوجه الأول : لا يكن منك أكل للسمك وأن تشرب اللبن »[5].

فالمبرد حتى وإن قال بمعنى الجمع ، فهو موافق لرأى سيبويه في أن الفعل المضارع بعد الواو يضمر قبله (أن) الناصبة.

وقد نظر الزجاج إلى التركيب ، فهذه الواو عنده واقعة في الجواب[6].

والقيسي يسمى الواو في هذا الأسلوب الواو الواقعة في جواب التمني[7].

ومن خلال أقوال العلماء التاليين لسيبويه والمبرد نلمح ملاحظتهم لمعنى المعية

---

(1) الكتاب 41/3.

(2) سورة آل عمران 142.

(3) وهي قراءة الحسن . معاني القرآن للفراء 2/ 235، 236.

(4) الكتاب 42/3.

(5) المقتضب للمبرد 24/2.

(6) معاني القرآن وإعرابه للزجاج 94/1.

(7) مشكل إعراب القرآن للقيسي 262/1.

في هذا التركيب فبعضهم يقول : المفعول معه لا يكون فعلا . فلم يدخل نحو : (لا تأكل السمك وتشربَ اللبن) ، بنصب تشرب ؛ لأنه وإن كانت الواو فيه للمعية لكنه ليس باسم[1].

وفي تفسيرهم لمعنى : (قم وأقومَ) بالنصب ، رأوا أن معناه : « قم مع قيامي ، كما قصدوا في المفعول معه مصاحبة الاسم للاسم ، فنصبوا ما بعد الواو »[2].

وحين رفض ابن هشام أن تكون الواو في قوله تعالى : ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ﴾[3]. وقوله تعالى : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[4]. و﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[5]. حين رفض أن تكون الواوات السابقة بمعنى لام التعليل قال : « والصواب أن الواو فيهن للمعية »[6].

وقرّب بعضهم بين واو العطف وهذه الواو فقال : « فإن قلتَ : ما الفرق بين واو الجمع وواو العطف ، وهل هما إلا شيء واحد؟ قلتُ : واو الجمع في الأصل للعطف ، لكنه خُصَّ ببعض أحواله ، وذلك أن المعطوف قد يكون قبل المعطوف عليه في الوجود ، وقد يكون بعده ، وقد يكون معه ، فخص واو الجمع بما يكون بمعنى (مع) فهو باعتبار أصل معنى العطف احتاج إلى تقدير مصدر منتزع من

(1) النفخة الوهبية في الأصول النحوية . سيف بن عبد العزيز العماني ص 117 ط 1 القاهرة سنة 1354هـ.

(2) شرح الكافية رضي الدين 246/2.

(3) سورة الشورى 42.

(4) سورة آل عمران 142.

(5) سورة الأنعام 6.

(6) مغني اللبيب 359/2.

الأول ، وباعتبار اختصاصه العارض بحال المعية صار كأنه قسيم للعطف المطلق »[1].

والذين نظروا للتركيب فجعلوا الواو واقعة في الأجوبة التي تقع فيها الفاء[2] « اختلفوا في : هل تقع الواو في كل الأجوبة التي تقع فيها الفاء؟ قال أبو حيان : لا أحفظ النصب جاء بعد الواو بعد الدعاء والعرض والتحضيض والرجاء . قال : وينبغي ألا يقدم على ذلك إلا بسماع »[3].

ثم رأى المحدَثون أن هذه « الواو للمعية إذا دخلت على المضارع المسبوق بنفي أو طلب ، أو كان بعدها اسم منصوب ، وهي بمعنى (مع) ، نحو : تذاكر وتكسل ، وسرت والجبل »[4].

وأن « اصطلاح المعية مقصود على قرينة المفعول معه ، والمضارع بعد الواو »[5].

ب ـ واو الجمع ومعاني التعليل والشرط :

في قوله تعالى : ﴿يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[6]. بالنصب يمكن أن نلمح من خلال فهم معنى النصب متضافرا مع الواو أن المعنى : إذا ردوا لم يكذبوا بآيات ربهم كان ذلك سببا في انسلاكهم مع المؤمنين الصالحين.

وقد قال بذلك أحمد العلماء[7]، ولكن ابن هشام رفضه ، وقال : إن الواو

---

(1) خزانة الأدب للبغدادي 575/8.

(2) الأشباه والنظائر في النحو 275/2.

(3) نفسه 275/2.

(4) مفتاح الإعراب : محمد أحمد مرجان ، ص 55.

(5) اللغة العربية معناها ومبناها ، ص 196.

(6) سورة الأنعام 27.

(7) مغني اللبيب 359/2.

obeikandl.com

فيه للمعية[1]. ورأى أن المعية لا تتناقض مع التعليل أو السببية، بل إن التعليل معنى من معاني هذه الواو التي للمعية، بل إن «معنى الشرط»[2] يُلمح أيضا في هذا التركيب في هذا المعنى، والتقدير على أنهم إذا أرادوا لم يكذبوا وكانوا من المؤمنين، وربما كان ذلك التقدير هو الذي جعل (ثعلب) يرى أن الواو في مثل هذه التراكيب دلت على شرط، فضارعت (كي) فلزمت المستقبل وعملت فيه[3].

ويتضح معنى الشرط أكثر عندما نفهم قول سبويه التالي: نقلا عن الخليل في جواز نصب إن تأتني وتحدثني أحدثك. «ووجه نصبه على أنه حمل الآخر على الاسم كأنه أراد: إن يكن إتيان فحديث أحدثك. فلما قبح أن يرد الفعل على الاسم نوى (أن) لأن الفعل معها اسم»[4]. فالحديث مترتب، أو قل: متسبب عن الإتيان.

وتقدير (أن) إنما هو ـ في ظني ـ مراعاة للسمات الشكلية التي يريدونها فيما تُشرك بينهما الواو، ولكن هذه الواو للمعية، وهذا التركيب مقصود بشكله ليؤدي معناه الخاص.

جـ ـ ناصب الفعل بعد الواو:

اختلف النحاة في ناصب الفعل المضارع بعد هذه الواو ـ كما حدث في المفعول معه ـ لاختلافهم في قضية عمل الواو، ولاختلاف نظرتهم في هذا التركيب؛ إذ إن بعضهم ـ وهم يقدرون (أن) بعد الواو ـ يحاولون أن يُحوّلوا

(1) نفسه 259/2.

(2) انظر المدارس النحوية .228.

(3) همع الهوامع 34/2.

(4) الكتاب 87/3.

التركيب من شكله الحالي إلى تركيب عطفي عادي الواو فيه للمشاركة، وبعضهم يفهم العطف فيه بمعناه العام (الرد أو الضم).

1 ـ الواو تنصب الفعل المضارع :

رأى بعض النحاة أن ناصب الفعل المضارع في هذا الأسلوب هو الواو[1]، ومنعوا تقدير (أن) مع المضارع المنصوب بعد فاء السببية وواو المعية على أنهما تنصبان المضارع بأنفسهما دون حاجة إلى تقدير[2].

وقد رأى الزجاج في قوله تعالى : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[3]. أنه نصب بالواو[4].

ولكن عند تفسيره للمعنى يقدر (أن) يقول : « ﴿وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[5] الرفع والنصب أيضا فيه جائزان، فأما النصب فعلى يا ليتنا .. ونكون . وتكون ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ﴾ على الجواب في التمني، كما تقول : ليتك تصير إلينا ونكرمك . المعنى : ليت مصيرك يقع، وإكرامنا، ويكون المعنى : ليت ردنا وقع وألا نكذب . أي : أن رُددنا لم نكذب »[6].

وقال الزجاجي : « اعلم أن الواو تنصب الفعل المستقبل إذا أردت بها غير معنى العطف، وذلك قولك : لا تأكل السمك وتشربَ اللبن . إذا أردت أن

(1) انظر : البرهان 4/ 435، والإتقان 2/ 55، والأشباه والنظائر في النحو 18/2.
(2) انظر : شرح الكافية، رضي الدين 241./2.
(3) سورة آل عمران 142.
(4) معاني القرآن وإعرابه للزجاج 2/ 262.
(5) سورة الأنعام 6.
(6) معاني القرآن وإعرابه للزجاج 262/2 وما بعدها، وانظر التبيان للعكبري 499/1.

تنهاه عن الجمع بينهما، ولو أردت أن تنهاه على كل حال لعطفت فجزمت »[1].

ونسب المرادي إلى بعض الكوفيين أنهم قالوا بالنصب بالواو في هذا الأسلوب[2].

2 ـ الفعل بعد الواو منصوب بالصرف أو الخلاف :

رأى بعضهم أن الفعل هنا منصوب على الصرف[3].

وقد فسره الخليل بقوله : « لا أركبُ وتمشيَ ، ولا أشبعُ وتجوعَ ، فلما أسقط الكتابة ، وهي (أنت) نصب ؛ لأنه مصروف عن جهته ، قال تعالى : ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾[4]. وكذلك في البقرة : ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[5]. معناه ـ والله أعلم ـ وأنتم تكتمون الحق ، وأنتهم تدعون إلى السلم ، وفلما أسقط (أنتم) نصب.

وقال بعضهم : موضعها جزم على معنى : ولا تلبسوا الحق بالباطل ، ولا تكتموا الحق ، وقال متوكل الكناني :

لا تَنهَ عَن خُلُقٍ وَتَأتيَ مِثلَهُ عارٌ عَلَيكَ إِذا فَعَلتُ عَظيمُ[6]

نصب تأتي على فقدان (أنت) »[7].

---

(1) الجمل في النحو للزجاجي.

(2) الجنى الداني 157.

(3) تفسير الطبري 1/ 569، شرح الكافية ، رضي الدين 2/ 241، 236، البرهان 4/ 435، الجنى الداني 156، الإتقان 2/ 255، المدارس النحوية 165، 198.

(4) سورة محمد 35.

(5) سورة البقرة 42.

(6) سبق تخريجه.

(7) الجمل في النحو للخليل .68.

وقد رأو أن الصرف هذا قرينة معنوية تدل على الجمع ، وكأن الصرف هو النصب لما بعد الواو فقال : رضي الدين « في الفعل المنصوب بعد واو الصرف ، لما قصدوا فيه معنى الجمعية ، نصبوا المضارع بعدها ، ليكون الصرف عن سنن الكلام المتقدم مرشدا من أول الأمر إلى أنها ليست للعطف ، فهي ، إذًا ، إما واو الحال ، وأكثر دخولها على الجملة الاسمية ، فالمضارع بعدها في تقدير مبتدأ محذوف الخبر وجوبا ، فمعنى : قم وأقوم ، أي : قم وقيامي ثابت ، أي : في حال ثبوت قيامي ، وإما بمعنى (مع) وهي لا تدخل إلا على الاسم ، فلما قصدوا ههنا ، مصاحبة الفعل للفعل ، نصبوا ما بعدها ، فمعنى قم وأقوم : أي : قم مع قيامي ، كما قصدوا في المفعول معه مصاحبة الاسم للاسم ، فنصبوا ما بعد الواو ، ولو جعلنا الواو عاطفة للمصدر على مصدر متصيد من الفعل قبله ، كما قال النحاة ، أي : ليكن منك قيام وقيام مني ، لم يكن فيه نصوصية على معنى الجمع »[1].

ولكن يجب ألا يغفل دور الواو في ذلك ، فهي صاحبة المعنى ، وهي التي أطلقوا عليها واو الصرف ، فلِمَ لا تكون قرينة لفظية لأداء معنى المصاحبة ، وللنصب أيضا.

3 ـ الفعل بعد الواو منصوب بأن مضمرة :

نظر البصريون إلى السمات الشكلية في ظاهر التركيب المطلوبة للمتعاطفين بالواو ، ولكي تصح المشاركة بها ، قدروا الواو هنا عاطفة ، ولما كرهوا عطف الفعل على الاسم أضمروا (أن) قبل الفعل ليصبح معها اسما ، وتكون في الوقت نفسه أداة لنصب هذا الفعل.

---

(1) شرح الكافية ، رضي الدين 2/.246.

قال المرادي: «والصحيح أن الواو في ذلك عاطفة، والفعل منصوب بأن مضمرة بعد الواو»[1].

ولكن ابن هشام تردد في معنى هذه الواو، فمرة يجعلها للمعية في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2]. ثم بعد ذلك يعلق على الآية نفسها ويقول: والحق أن هذه الواو للعطف[3].

وقد عد برجشتراسر الواو هنا عاملة، وأن أصلها العطف، ولكون الجملة الثانية تابعة للأولى في المعنى عبروا عن ذلك بنصب فعلها.

وأرى أنه إن جُعل النصب لما بعد الواو بالواو ذاتها، أو بالصرف الذي هو معنى من معاني الواو بأن مضمرة، فيجب ألا يهمل معنى المعية في الواو، والأقرب إلى معنى الواو هنا أن يكون النصب بواو الصرف.

ومما هو جدير بالذكر هنا أن معاني الجمع والمعية والمصاحبة لا تتعارض في التركيب الواحد، فكل هذه المعاني تلتقي، أضف إلى ذلك ما أطلق عليها من مسميات أخرى كقول بعضهم عنها: إنها الواو الدائمة، وإنها: «كل واو تلازم الجزاء ومعناها الدوام»[4].

د ـ واو الجمع في القرآن الكريم:

ذكر الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة في دراساته اثنتي عشرة آية من هذا الأسلوب تحت عنوان واو المعية[5].

---

(1) الجنى الداني 157، وانظر منثور الفوائد لأبي البركات الأنباري 66، 67.

(2) سورة آل عمران 142.

(3) مغني اللبيب 361/2.

(4) لسان العرب لابن منظور، ط بولاق 379/20.

(5) دراسات لأسلوب القرآن الكريم 16/3.

وهناك آيات أخرى من هذا الأسلوب أثبتناها من خلال استقراء آيات القرآن الكريم لم يذكرها في معجمه، كقوله تعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [1]. وقوله: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ [2]. فقد رأو في (تدعوا) أنه منصوب على الصرف[3].

1 ـ تعدد التوجيهات الإعرابية فيها :

وكل الآيات التي ذكرها الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة، والتي لم يذكرها من هذا الأسلوب، لم تكن المعية وجها واحدا فيها، وإنما جاءت تحتمل العطف والمعية عند أغلب العلماء، ولكل توجيهه وتبريره.

وقد يكون لهذا التردد بين المعنيين أسباب نذكر منها :

1 ـ القرءات القرآنية :

وعندما تكون القراءات سببا في تردد العلماء بين معنيي العطف والمعية، فالأمر طبيعي لأن القراءات ـ كما سبق أن قلنا ـ كالآيات، ومن أمثلة ذلك :

ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ [4]. أجاز بعضهم قراءة النصب في (تكتموا) على المعية[5].

ـ وكذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[6].

---

(1) سورة النساء 19.

(2) سورة محمد 35.

(3) الجمل في النحو للخليل 68.

(4) سورة آل عمران، الآية : 71.

(5) انظر البحر لأبي حيان 2/ 491، وما بعدها، وانظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم 3/516.

(6) سورة آل عمران 142.

oberkanal.com

قرئت بالنص أيضا في (يعلم)[1].

وقوله تعالى: ﴿يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[2].

قرئت أيضا بالنصب في (ونكون) كما سبق على المعية[3] وهناك آيات أخرى جاءت محتملة للعطف والمعية بسبب القراءات[4].

2 ـ **قرينة النصب:**

بعض هذه الأفعال التي جاءت في هذا الأسلوب في القرآن الكريم من نوع الأفعال الخمسة التي تُجزم وتُنصب بحذف النون، فهي أحيانا تأتي بعد الواو محذوفة النون، فإن وجهتها على النصب فهي محذوفة النون، ويجوز فيها ذلك، وإن وجهتها على الجزم ـ عندما تكون معطوفة على مجزوم ـ تجد أن الجزم حاصل، وأنه يجوز فيها العطف أيضا؛ لذا نجد بعضهم يقول فيها بالنصب، وآخرون بالجزم، وأظن أن الذي يحدد ذلك هو المعنى المراد من الآية.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ﴾[6].

---

(1) انظر معاني القرآن للفراء 2/ 235، وما بعدها، وانظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم 516/3.

(2) سورة الأنعام 27.

(3) قرأ حمزة ويعقوب وحفص بنصب الباء والنون فيهما ووافقهم ابن عامر في (ويكون) وقرأ الباقون بالرفع فيهما. النشر 257/2.

(4) الآيات الأعراف 127، التوبة 41 ـ 15، النساء 141، البقرة 30.

(5) سورة الأنفال 27.

(6) سورة يوسف 9.

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [1]. والمعنى المراد هو الذي يحدد نوع الواو في الآيات السابقة.

ومما يجدر ذكره هنا أن العطف قريب المعنى من المعية في بعض التراكيب كهذه ، ولكن عندما تراد المعية ، فهي أوقع وأدل على المعنى.

❊ ❊ ❊

(1) سورة البقرة 42.

obeikandl.com